وصايا ونصائح
إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة

كراس تضمن نص الكلمة التي كتبها سماحة الشيخ محمد اليعقوبي جواباً على سؤال وجهه إليه أحد الخطباء المخلصين طالباً منه التوجيه والنصح والنقد بتأريخ (١٢-١٤ ذي الحجة/١٤٢٠ هـ الموافق ١٩-٢٠٠٠/٣/٢١).

وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أغتنم هذه الفرصة وهي قرب حلول شهر محرم الحرام حيث ينطلق الخطباء والمبلغون (أيدهم الله تعالى) إلى أصقاع الأرض؛ ليرشدوا الناس ويعظوهم ويعلموهم شريعة سيد المرسلين، مستفيدين من العاطفة الجياشة والروح الإيمانية الوثابة التي زرعتها في النفوس ذكرى أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وما زالت وستبقى ان شاء الله تعالى تمد البشر على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم بالهمة الكبيرة والإخلاص والتضحية من أجل المبدأ الحق.

أغتنم هذه الفرصة لأن إضاعة الفرصة غصة، وفي الحديث: (الفرصة تمر مر السحاب، فانتهزوا فرص الخير) فلنجعل هذه الفرصة نقطة انطلاق للحديث عن دور الخطباء والمبلغين ومقومات شخصيتهم، وما ينبغي أن تتوفر فيهم من مؤهلات وقابليات وإسداء بعض الوصايا والنصائح والتوجيهات مما خبر هذا العبد القاصر، لتتحد جهودنا وتتكامل في إعلاء كلمة الله سبحانه، وإرساء توحيده، ولدحض كلمة الكفر والنفاق وإزهاقها، ولا أقصد بالخطيب خطيب المنبر الحسيني فقط، وإن كان هو أبرز المصاديق، وإنما أقصد كل من يتصدى لإيصال رأي الشريعة وصوت الحوزة شفاهة ومباشرة إلى المجتمع، سواء كان خطيب جماعة أو جمعة أو من خلال الندوات والمحاضرات والحوارات، فكل هذه قنوات مهمة للاتصال بالأمة.

والمنبر الذي يرتقيه أي واحد من هؤلاء والجمهور الذي يستمع إليه أمانة عنده وهو مسؤول عن رعايتها وأداء حقها، فـ(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)، فيحرم تصدي غير أهله إليه، وإذا لم يكن كفؤاً قادراً على أداء الأمانة، فإنه خائن لها وسارق لوقت هؤلاء الجالسين وجهد القائمين بالمجلس وأموال الباذلين.

والمنبر الحسيني من مختصات الشيعة، سنّه لهم الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وكان له الدور المهم في حفظ كيان المذهب، ويحمل مقومات نجاحه في نفسه بضم الفكر إلى العاطفة والولاء، ويلبي كل حاجة إذ ليس له نمط معين ولا اختصاص واحد حتى يتحدد به، وما يزيده نجاحاً أن الجماهير هي التي تختار خطيبها، وليس يفرض عليها فرضاً، فيكون صوتهم المعبر عن رأيهم وآمالهم وآلامهم، فلا عجب أن أقبلت الجماهير بكلها على المجالس وبذلت الغالي والنفيس من أجل إقامتها وإنجاحها، وإنك لتكبر هذه المهمة فيهم حيث يجتمع الآلاف بل مئات الآلاف من دون سابق إعداد ولا إعلام، بينما تجهد الدول على أن تقيم مؤتمراً يضم العشرات فقط ولا تنجح فيها مع سعة البذل والإعداد لإنجاحه.

من هنا ينبغي أن ندرك أهمية دور الخطباء في المجتمع وعظيم مسؤوليتهم، فليس دورهم إبكاء الناس واستدرار دموعهم، وإن كان هذا مهماً، ولكن الأهم إيصال الفكر إليهم؛ لأن مشكلتنا الرئيسية وعدونا الأول هو الجهل، الجهل بعقائدنا ومبادئنا وأخلاقنا وشرائعنا.

ولا ينفك الحديث عن شخصية الخطيب والمبلغ عن الحديث عن طالب العلوم الدينية؛ لأن الخطيب لا يكون ناجحاً ومتمكناً من أداء دوره في المجتمع إلا إذا تربى في أحضان الحوزة العلمية ونهل من نهر علومها الصافي، كما أن الحوزوي لا يتمكن من أداء رسالته كما ينبغي له إلا حينما يكون خطيباً ويواجه الجمهور بشكل مباشر، فكما أنه من النقص في الخطيب ألاّ يكون حوزوياً

فكذلك نقص في الحوزوي ألاّ يكون خطيباً، وسيأتي مزيد إيضاح لهذه النقطة إن شاء الله تعالى.

وقد جعلت الكلام من خلال نقاط تمثل كل نقطة جهة من جهات البحث:

مقومات شخصية الخطباء وطلبة العلوم الدينية:

النقطة الأولى: وأول نقطة في هذا المجال هو: الحديث عن مقومات الخطيب و الحوزوي عموماً؛ إذ يجب أن تشمل التربية الحوزوية ثلاثة اتجاهات متوازية وتسير في عرض واحد، وأي تقدم في أحدها على حساب الأخرى يؤدي إلى خللٍ في توازن الشخصية وتقصير في السعي لتحقيق الهدف المنشود الذي هو رضا الله سبحانه والعمل على نشر شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) والمساعدة على هداية المجتمع وصلاحه، وأية غفلة عن الهدف أو عدم الوضوح فيه تعني الانحراف والابتعاد عن الحق، فلا بد من ملاحظة الهدف دائماً (وهو المعبر عنه بذكر الله تعالى على كل حال) وتدقيق العمل مع موازينه، فما كان من العمل يصبّ فيه فاستمر فيه وازدد منه، وما ليس كذلك فاجتنبه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا) والاتجاهات الثلاثة هي:

الأول: الاتجاه العلمي: ونعني به التزود من العلوم والمعارف الإسلامية وعدم الاقتصار على ما اعتادت الحوزة في الأعصار المتأخرة في التركيز عليه كالفقه والأصول ومقدماتهما من المنطق وعلوم العربية، بل لا بد من إضافة العلوم الأخرى التي لا تقل أهمية عنها، كالفلسفة والعقائد والتاريخ والرجال والتفسير وعلوم القرآن، ويكون الحال أكمل لو أضاف إليها ثقافة عامة من العلوم العصرية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك وعلوم الحياة، فإنها

كلها يمكن تسخيرها لخدمة الهدف ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت:٥٣).

وأقل ما يشترط في الخطيب والمبلغ إكمال دورة فقهية كالشرائع بإتقان، ومعرفة بالقواعد المبتنية عليها، ليستطيع التمييز بين فروع المسائل وتطبيق بعضها على بعضها، ويتطلب ذلك إكمال دورة أصولية مبسطة كأصول المظفر أو الحلقة الثانية وقس على هذا المستوى من الكتب في المجالات الأخرى، ويمكن طلب التوجيه من الفضلاء في هذا المجال، ولا يجب التعبد بالمناهج القديمة، فقد استحدثت كتب أعمق من حيث المادة وأوضح في العبارة ومحتوية على مطالب الكتب القديمة مع ما أضيف إليها من تراكمات علمية في الأجيال المتأخرة عنها، وتفصيل ذلك في موضع آخر.

الثاني: الاتجاه الأخلاقي: فلا بدّ من تهذيب النفس والسعي إلى تكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل وتوطيد الصلة بالله تعالى ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة، ويكون ذلك قبل التصدي لأية مسؤولية اجتماعية؛ لأن المنصب والجاه والامتيازات الأخرى التي يتمتع بها علماء الدين من أقوى فخوخ الشيطان وأصعب شراكه، وإن النفس الأمارة بالسوء قد تكون كامنة وخامدة باتجاه ما، فإذا حصل ما يثيرها هاجت وأودت بصاحبها، لذا تجد الإنسان عندما يدخل إلى الحوزة الشريفة تنفتح للنفس مزالق جديدة منها العمامة واللحية والعنوان الذي يكتسبه، فيحتاج إلى جهد أكبر لمقاومتها، فالنفس كالاخطبوط الذي يروى عنه أنه كلما تقطع منه ذراعاً تولّد له أكثر من ذراع إلا من عصم الله سبحانه، ولا تغترّ بأي عمل قبل أن تذيب الأنانية وتميت الأهداف مما سوى الله سبحانه، فإنه لا قيمة لأي عمل مهما كان عظيماً في نفسه إذا لم يكن مخلصاً لله سبحانه ومقبولاً[1] ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة

(١) وفي الحديث يؤتى يوم القيامة برجال أعمالهم كالجبال فترمى في وجوههم ويقال لهم إنكم أردتم بها غير الله سبحانه، والعياذ بالله.

حسنة وهو أكمل الخلق، فقد جاهد نفسه وتعبد لله سبحانه ردحاً طويلاً برعاية الله سبحانه حتى بعث بالنبوة، ففي الحديث عن الصادق (عليه السلام): (إن الله عزّ وجلّ أدّب نبيه فأحسن بأدبه، فلما أكمل له الأدب قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧).

وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزلّ ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق)[1]، وقال (عليه السلام) في حديث آخر: (فما فوض الله إلى رسوله (صلى الله عليه وآله) فقد فوضه إلينا)[2].

واعلم أن الخروج إلى المجتمع قبل تحصيل السيطرة على النفس الأمارة بالسوء والأخذ بعنانها بما يتضمنه هذا الظهور من مزالق كحب الجاه والتعالي على الآخرين والعجب والرياء والكبر والحسد والمكر سيجعل الإنسان فريسة سهلة للشيطان وللنفس الأمّارة بالسوء، وعندئذ يخسر المبطلون وإن صور له أنه يعمل لله سبحانه وسيقع أجره على الله تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (الأنفال: ٤٨) بل ربّما منّ عليه سبحانه بأعماله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾(الكهف:١٠٣-١٠٤).

إن تكميل النفوس وتحليتها بالفضائل الأخلاقية وتنزيهها عن الرذائل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(الشمس: ٩-١٠) جانبٌ مهم في شخصية الإنسان المسلم، لذا أولته الشريعة كل اهتمام، بل جاء في الحديث: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وقد سمى العمل على تطهير النفس من أدرانها بـ(الجهاد الأكبر) في النصوص الشريفة، وهو واجب عيني إن كان طلب

---

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب ٥٩، حديث٥.

(٢) المصدر السابق، في نفس الباب، حديث ١١.

العلوم الأخرى – بما فيها الفقه - كفائياً، ولا بدّ أن يقترن العلم بالعمل (وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ الْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ) وفي حديث آخر: (العلماء رجلان: رجل عالم بعلمه فهو ناجٍ، وعالم تارك لعلمه فهو هالك)، وطالب العلم أولى من غيره بهذه التربية، لأنه متصدٍّ لتغيير المجتمع وقائم على إصلاحه، فكيف ينجح وهو بعدُ لم يفلح في تكميل نفسه، فإن (فاقد الشيء لا يعطيه).

وما هذه المفاسد التي نعاني منها كالخلاف والبغضاء وتبادل الاتهامات والتمزق إلا نتيجة النفس الأمارة بالسوء وعدم الإمساك بقيادها، وإلاّ لو كان الجميع مخلصين لله سبحانه وهدفهم واحد هو رضا الله سبحانه: لتآخوا ولتحابّوا ولشكر بعضهم بعضاً على معاونته إياه في هذا الطريق، أترى لو أن جميع الأنبياء – وهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً - جُمعوا في مكان واحد وزمان واحد ماذا ستكون العلاقة بينهم؟ هل الشجار والخلاف كما يحصل بيننا ونحن شرذمة قليلون؟!

الجواب: لا طبعاً؛ لأنهم مخلصون ومتآخون فيه، فما اختلافنا إذن إلاّ من أجل دنيا زائلة أو عناوين زائفة كحب الجاه أو حفنة من الأموال تذهب لذتها وتبقى تبعتها، وقد يتدخل الشيطان بمكره فيوهم كل طرف أنه على الحق، ويصور له من واهمته مبررات مشروعة (كالمصلحة الدينية) يُقنع بها نفسه ويسير وراءها، ولا يزداد عن الحق إلاّ بعداً، ولو أنصف من نفسه ونظر بعينين مفتوحتين لا بعين واحدة هي عين أهوائه لرأى الحق واضحاً.

وتجد أهم شرط بيّنه المعصومون (عليهم السلام) في العالم الواجب اتباعه أنه مطيع لأمر مولاه وصائن لنفسه عن الهوى، وإلاّ كيف يهدي غيره ويصلح غيره وهو بعدُ لم يحققهما في نفسه ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس:٣٥)، وينبغي الالتفات إلى أن الشخص كلما تعاظمت مسؤوليته وجب أن تكون درجة تكامله بمقدارها، ومن هنا يجب أن نفسر مصطلح (العدالة) الذي يشترط في

الشاهد وإمام الجماعة ومرجع التقليد بدرجات متفاوتة، فالمستوى المطلوب منها في الشاهد ليس كإمام الجماعة، وعند هذا ليست كما في مرجع التقليد الذي بيده مصير ملايين المسلمين نفوساً وأموالاً وأعراضاً، وقد ورد في الحديث ما مضمونه: (إن الإسلام عشر درجات أعلاها الإيمان، والإيمان عشر درجات أعلاها الورع، والورع عشر درجات أعلاها اليقين)، فقد يحل لشخص ما يحرم على غيره بحسب موقعه الاجتماعي، ولنعتبر بما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام)، وليطبقها كل منا على موقعه: (هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ – وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ – أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ).

وعلم الأخلاق كغيره من العلوم- إن لم يكن أولى - باحتياجه إلى المعلم العارف بأمراض النفس ومسالك انحرافها وعلاج كل منها ويعرف العلامات والاختبارات لتشخيص الداء، فيصف الدواء لكل أحد بما يناسبه من غير إفراط ولا تفريط، وكان العلماء السابقون لا يستنكفون من الحضور في دروس الأخلاقيين الناجحين في تربيتهم للآخرين رغم سمو مرتبتهم العلمية؛ فقد كان للشيخ الأنصاري مُعلمٌ خاص لتهذيب النفس، وكان المجتهدون يحضرون دروس الشيخ جعفر الشوشتري والشيخ حسين قلي الهمداني (قدس الله أسرارهم جميعاً) للوعظ والإرشاد وإحياء القلوب وتهذيب النفوس وتكميلها.

وإذا تعذر المربي الذي من أهم شروطه الصدق والإخلاص فيوجد البديل في الكتب المعبرة عن سمو مرتبة مؤلفيها، ويمكن للمؤمن أن يتربى على يديها، ومن هذه الكتب (جامع السعادات) و(القلب السليم) وغيرها كثير مما

كتب في تهذيب النفس وتكاملها في طريق الوصول إلى الله سبحانه، وهي بمستويات مختلفة يمكن التدرج في الاستفادة منها وتطبيق ما فيها، وروح الكتب وخلاصتها أحاديث المعصومين وكلماتهم، حيث تعدّ الكلمة ذات السطر الواحد دستور حياة، فراجع (نهج البلاغة، وتحف العقول، والمحاسن والخصال، وإرشاد القلوب، ووسائل الشيعة/ج١١)، وكذا أدعية المعصومين كالصحيفة السجادية ودعاء أبي حمزة ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة خصوصاً ملحقه ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية.

إن صلاح المجتمع بصلاح علمائه وفساده بفسادهم والعياذ بالله، فقد روي في الخصال[1] عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الفقهاء والأمراء.

والذي أفهمه أن علاقة هذين الصنفين بفساد المجتمع وصلاحه ليست بمرتبة واحدة من حيث العلية والمعلولية، ففساد العلماء علة لفساد المجتمع، وفساد الأمراء معلول لفساد المجتمع، فيكون فساد العلماء متقدماً برتبتين على فساد الأمراء وكذا صلاحهم طبعاً.

إن فساد العلماء يمكن تصوره على مستويين:

الأول: التقصير في أداء المسؤوليات من إرشاد الأمة وتوجيهها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو الضامن لسلامة الأمة من الانحراف ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾(آل عمران:١١٠) ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)، وقد أنّب الله سبحانه العلماء على هذا التقصير بقوله: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن

(١) باب الاثنين، حديث ١٢.

قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:٦٣)، وقد حذر القرآن الكريم والسنة الشريفة من خطر ترك هذه الفريضة المهمة في مواضع عديدة، وورد أنه من الذنوب التي تديل الأعداء وتمنع من استجابة الدعاء، وكفى بذلك شراً ووبالاً.

الثاني: انحراف رجال الدين المتصدين للمجتمع وتغير نواياهم وأهدافهم من ربانية مخلصة إلى دنيوية محضة، وحبُّ الدنيا رأس كل خطيئة وباب الفساد والشرور، فيستشري الطمع والأثرة والحسد والبغضاء والخلاف والقطيعة والكيد والمكر، وتنشأ هوّة بعيدة بينهم وبين الأمة، فتضل الأمة بضلالهم، وقد قيل: (إذا فسد العالِم فسد العالَم)، وهذه هي الطامة الكبرى حيث ينعدم الإخلاص فتنفصم العروة الوثقى وهي حبل الإمداد والتوفيق الإلهي، وقد أكد الأئمة (عليهم السلام) على اجتناب مثل هؤلاء ونبذهم وعزلهم؛ فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياكم فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب)، فلنبدأ إذن بإحياء القلوب والموعظة وتلاوة القرآن: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦).

إنه من المؤسف حقاً استهداف ما سوى الله سبحانه من مال أو جاه أو تسلط، وقد علمنا علم اليقين حقارة ذلك مقابل ما أعدّ الله للمخلصين من عباده خصوصاً لطلبة العلم والعلماء والمرشدين، ويكفي حديث واحد مضمونه (لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أن أحداً قد حصل على خير مما حصل عليه)[1].

الاتجاه الثالث: في الوعي الاجتماعي؛ فلا بدّ من اتصاف الحوزوي بالوعي والحس المرهف لما يجري حوله، والبصيرة فيما يدور في المجتمع من

---

(١) راجع للمزيد كتاب أصول الكافي، فضل العلم.

مشاكل وفتن وشبهات تعصف به وتبلبل أفكاره تحت شتى العناوين مستفيدة من الجهل المتفشي بين أبناء الأمة، وأن يكون عارفاً بأسلوب مواجهتها وتحصين الأمة من الوقوع فيها، وتنبيهه إلى الأخطار المحدقة به التي تريد أن تسلب أعز ما عنده دينه وكرامته وعزّته ومبادئه ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ (البقرة:١٢٠).

ولا بدّ أن يتحرك نحو المجتمع فيستثمر الفرصة المتاحة ويهيئ الظرف بلطف الله تعالى لما هو أوسع منها، أما المغامرة بما هو أزيد من المتاح فهو إفراط وإلقاء للنفس في التهلكة وتهور، أما العمل بأقل ما هو متاح فإنه تفريط في الواجب وتقصير ولا مبالاة، وقد (أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ ألاّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ) وألاّ يسكتوا على ذلك كما ورد في الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا ينتظر أن يتحرك المجتمع إليه ويقصده، ولربما يشعر بذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ﴾(التوبة:١٢٢)، فهم الذين يبدأون قومهم بالإنذار وتبليغ الرسالة، ولا ينتظرون من المجتمع أن يبتدأهم فضلاً عن الانعزال عنه وترك حبله على غاربه.

وإذا وردت أحاديث تحبب العزلة عن الناس فليست بمعنى التقوقع داخل البيوت، وإنما بمعنى مباينة المجتمع الفاسد في تصرفاته وعدم الانصياع إلى تصرفاته وعدم الانسياق معهم، وإعلان البراءة من انحرافهم، وهذه سنة إلهية أكد عليها القرآن الكريم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦)، ولا ينزل النصر على عباده المؤمنين إلا بعد التجرد عن موالاة الكافرين والمنحرفين ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:٤١).

إن المجتمع قد أعطانا كل ما عنده من الجاه والمال والتقديس والتفاني في الخدمة، فيجب أن نعطيه كل ما عندنا، وإذا كنا نأخذ أكثر من حقنا ونعطي الآخرين أقل من حقوقهم فنحن مصداق واضح للمطفّفين ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٢-٦) فويل لنا عندئذٍ.

إنّ من ثمرات الوعي الاجتماعي معرفة وطرح الأساليب المناسبة للتعامل مع الواقع المعاش، ورفعه إلى مستوى التطبيق الكامل للشريعة، لا الهبوط بالشريعة إلى مستوى الواقع وتكييفها وفق متطلباته. ويمكن الاستفادة من عدة كتب في هذا المجال، منها التي تحدثت عن الأدوار المشتركة للأئمة (عليهم السلام) التي عاشوها في حياة الأمة الإسلامية.

إن العلماء هم حرّاس الأمة، وبتعبير الحديث: (أمناء الرسل وحفاظ الشريعة)، فبقدر ما يكونون يقظين ملتفتين إلى ما يوجه إلى الدين والمذهب من شبهات وفتن مضلة فكرية واجتماعية على يد أعدائه، تكون الأمة في أمان وعقيدتها في حصن منيع، وإذا غفلوا وناموا احتوشها الأعداء وعاثوا فيها فساداً وسرقوا منها الأهم من المال، أعني دينها وعقيدتها وشرفها وعزّتها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

إذا عرفت معي أهمية هذه الاتجاهات الثلاثة في تكوين شخصية المرشد الديني في أي موقع فكأنما شاركتني الأسى والألم لتقصير حوزتنا في بناء هذه المقومات لدى طالب العلوم الدينية، فالاتجاه الثاني والثالث غائبان، والأول قاصر من حيث المادة المعطاة، فلا زلنا نجتر معلومات قديمة، ومن حيث الأسلوب فكذلك، وغابت دروس مهمة كالفلسفة والرجال والحديث والتاريخ والعقائد والعلوم العصرية التي ذكرنا في موقع آخر مدخليتها في تكوين الشخصية العلمية للمرشدين، والمنهجة مفقودة والدراسة بلا ضوابط والحديث

ذو شجون، لكن يجب أن لا نقتصر على تجرّع المرارة والأسى، بل نعمل لتلافي هذا النقص وتداركه، وليشد بعضنا أزر بعض، والله ولي المؤمنين.

الاهتمام بالقرآن الكريم:

النقطة الثانية: الاهتمام بالقرآن الكريم، فمن المؤسف حقاً غيابه عن الدروس الحوزوية، فقد نظمت بشكل لا يحتاج فيه الطالب إلى القرآن الكريم من أول تحصيله إلى نهايته، ولا يمر به إلا لماماً، وربما يبلغ مرتبة عالية في الفقه والأصول وهو لا يحسن قراءة القرآن الكريم بشكل مضبوط، مما أدى إلى إهماله وقلة الاهتمام به، وقد تمر الأيام والأسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها، وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع، فإن الأمة لا تكون بخير إلا إذا تمسكت بقرآنها واهتدت به واستضاءت بنوره، وهو حبل الله المدود إلى عباده، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وثقل الله الأكبر مع أهل البيت (عليهم السلام) ثقل الله الأصغر ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، فتقع المسؤولية على الحوزة أولاً لإخراج القرآن من عزلته وإعادته إلى الحياة إماماً وهادياً ورائداً للتغيير والإصلاح في النفس والمجتمع.

إن البشرية تعيش اليوم جاهلية جديدة بحسب المفهوم الذي يعطيه القرآن للجاهلية؛ إذ ليست هي فترة زمنية انتهت بطلوع شمس الإسلام، بل هي حالة اجتماعية تتردى إليها الأمة وينتكس إليها المجتمع كلما أعرض عن شريعة الله سبحانه ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(المائدة:٥٠)، وقد نبّه القرآن الكريم إلى حصولها حينما قال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾(الأحزاب:٣٣)، وكأنه إشعار بوجود جاهلية ثانية، هذه التي تعيش البشرية اليوم شؤمها وتعاستها، بل جمعت جاهلية اليوم مساوئ الجاهليات القديمة جميعاً، فالقوي يأكل الضعيف، واللواط يسند بقانون رسمي يجيزه ويرتضي الزواج بين الذكرين، والزنا يفوح برائحته الكريهة

وهمجيته الحيوانية في كل أرجاء العالم، والبخس في الميزان واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله يحرّمون ما أحلّ الله ويحلّون ما حرّم، والآلهة التي تعبد من دون الله سبحانه قد تعدّدت، وما زالت الذهنيات الشيطانية تتفتق عن المزيد، وشياطين الجن والأنس تصدّ عن صراط الله المستقيم ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(الأعراف:١٦-١٧) ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾(الأعراف:٨٦).

كل هذه من سمات وعلامات الجاهلية في كل زمان ومكان، فما أحوجنا إلى القرآن لينقذنا من حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام، وقد جاء في الحديث ما مضمونه: (إن أواخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أوائلها)، وقد صلحت أوائلنا بالقرآن، فلنأخذ به فإنه شفاء ونور وهدى ويصدّ عن العمى والضلالة، ولنكرس جهدنا في الاستفادة من قابلية القرآن وقدرته على علاج أمراض البشرية والارتقاء بها في سلم الكمال، فإن القرآن خالد وحي ومعطاء إلى يوم القيامة، ومن خلوده قدرته على تشخيص الداء وتقديم الدواء لكل مجتمع في كل زمان ومكان، ومن خطل تفكير هذه البشرية الضالة أنها إذا عطل عندها أبسط جهاز أو أصابه خلل فإنهم يراجعون في إصلاحه صانع الجهاز، وعندما تصاب هذه البشرية التي هي أعظم المخلوقات وأشدّها تعقيداً بالانحراف يلتمسون العلاج من نفس المريض ولا يأخذون وصفة العلاج من خالق الإنسان العظيم، وهو هذا القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أهل بيته العظام (عليهم السلام).

وما علينا إلا أن نستثير كوامن القرآن ونلتمس منه دواء دائنا، فإذا أصيب المجتمع بالتمزق والتشتت فاقرأوا عليهم قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾(آل عمران:١٠٣)، وإذا أصيبوا بالجبن والخور فعلاجهم:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(النساء:٧٨) ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾(الجمعة:٨)، وإذا شكونا من سوء الإدارة والتصرفات في الحوزة فاقرأوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ - وهي حواشي المراجع - لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾(آل عمران:١١٨)، وإذا مررنا بصعوبات في الحياة ومصائب ومشاقّ فالتمس الطمأنينة والسكينة والتسلية في قوله تعالى: ﴿ألم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾(العنكبوت:١-٢) و﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(التوبة:١٢٠-١٢١).

واقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤)، وإذا شعرت الأمة بالإحباط واليأس فعلاجه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(يونس:٨٧) و﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾(الحجر:٥٦)، وإذا ألقينا مسؤولية الانحراف والظلم على غيرنا أو على الزمن فاقرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(النساء:٧٩) ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١) ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(المائدة:١١٧)، وإذا انصاع الناس وراء الكثرة الكاثرة مما يسمى اليوم بالسلوك الجمعي أو الشياع أجابهم القرآن: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(يونس:١٠٣) ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾(الأنعام:١١٦) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(يونس:١٠٦).

حفظ الوحدة الإسلامية:

النقطة الثالثة: ومن الأهداف المهمة التي يجب على الخطباء (سدّدهم الله تعالى) تكريس أنفسهم لها: صيانة وحدة الحوزة والمجتمع والعمل على تحقيقها، والوقوف بوجه كل المحاولات التي تؤدي إلى تمزيق شمل الأمة.

إن الاختلاف بوجهات النظر لا يستلزم التناحر والتشاجر، ومن ثم التكفير، وربما الحكم باستحقاق القتل، إن الاختلاف بالرأي سنة جارية بين أبناء البشر، ولا نجد اثنين متفقين في جميع آرائهما وتصرفاتهما، فهل يعني هذا القطيعة بين البشر، وقد قصّ القرآن شواهد على ذلك حتى بين الأنبياء وهم معصومون من الخطأ، فعندما عبد بنو إسرائيل العجل، وكان موسى (عليه السلام) غائباً، فلم يتخذ أخوه هارون (عليه السلام) إجراءً حاسماً خشية تفرق بني إسرائيل ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(الأعراف:١٥٠)، وفي موقع آخر ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(طه:٩٣) فنفى السامري وأحرق العجل.

إن أساس أية وحدة يقوم على أمرين:

١- احترام كل من الطرفين وجهة نظر الآخر، ما دام الطرف الآخر مقتنعاً بها بالحجة المعتبرة عنده ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة:٢٥٦)، وحساب كل طائفة على الله سبحانه، ولسنا نحن أولياء أمور الآخرة ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:١٠٦)، و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾(آل عمران:١٢٨)، وإذا لم يكن هذا الأمر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكيف يكون لنا تكفير من

يخالفنا الرأي ولا يشاركنا في قناعاتنا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٧).

٢- التركيز على نقاط الالتقاء واحتفاظ كل طائفة أو فريق لنفسه بمعتقداته وأحكامه الخاصة به، ولا شكّ أن نقاط الالتقاء كثيرة، وتجمعنا أواصر عديدة هي أهم بكثير من المسائل الفرعية التي نختلف فيها.

وقد نهى الإسلام عن التنابز بالألقاب وقذف الآخرين بالصفات المشينة، وهي توجب للقاذف ثلاثة آثار:

١- الجلد ثمانين.

٢- الحكم عليه بالفسق.

٣- عدم قبول شهادته.

فلنتق الله، وليصُن بعضنا سمعة بعض وعرضه وشرفه وكرامته، خصوصاً المتصدين للمنابر؛ حيث تتلقف الجماهير منهم الكلمات بسرعة، فمن اتقى وأحسن فسييسره الله للحسنى، ومن أساء فإن له معيشة ضنكاً ويحشره الله يوم القيامة أعمى، وعليه وزره ووزر من تسبب هو في ضلاله، وليعلم الجميع أن وحدة المجتمع من وحدة الحوزة وتفرقه من تفرقها، ولنتأدّب بأدب أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما سمع اثنين من أصحابه يشتمان معاوية وأصحابه، فنهاهما عن ذلك. فقالا: أولسنا على الحق؟ قال: بلى، ولكن أكره أن يكون أصحابي سبابين شتامين، قالا: إذن أدبنا بأدبك يا أمير المؤمنين، قال ما مضمونه: بيّنوا لهم وجه الحق؛ ليعرفوا أهله، والباطل؛ ليعرفوا أهله.

إن من أسباب الفرقة والتشاق: التعصب لشخص أو اتجاه معين، وهو سلوك باطل؛ لأن التعصب يجب أن يكون للحق، ولنتأمل طويلا في قولهم (عليه السلام): (لا يعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله)، فليس الرجال معياراً لمعرفة الحق، بل الحق معيار لتقييم الرجال؛ إن تقديس الذات

شكل من أشكال العبادة والشرك، والمبتلى بها يعمى عن رؤية الحق، لأن هذا التقديس يحجبه عن الرؤية الصحيحة.

والداهية العظمى سريان هذا الداء إلى أبناء المذهب الواحد، بل إلى أفراد الحوزة نفسها التي يفترض أن هدفها واحد ومصيرها واحد وولاءها واحد، لكن هذه الوحدة التي كان لها مركز هو ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) تشرذمت إلى ولاءات شخصية متعددة، ولم يعُد أحد يفكّر بولائه الأصلي لله ورسوله ولأمير المؤمنين، بل لفلان وفلان، ونشأت الفرق والأحزاب و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(الروم:٣٢)، وتراهم يدعون إلى الوحدة مع بقية مذاهب المسلمين بل مع البشرية جميعاً، وهو شيء حسن دعانا إليه الإسلام، فالناس (صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ﴾ - على تعبير أمير المؤمنين (عليه السلام) - لكن لماذا ننسى هذا الشيء فيما بيننا نحن أبناء الحوزة والمذهب الواحد، إنه للعجب العجاب!! أيكفي مبرراً لذلك أن فلاناً رأى تكليفه أن يفعل كذا مما يراه الآخر تهوراً، وأن فلاناً رأى تكليفه أن يفعل كذا مما يراه الآخر تقصيراً وتخاذلاً.

إن جعل الهدف هو الأشخاص ينافي الإخلاص أولاً، ويشوش الرؤية ثانياً، وهو الخلط الذي وقع فيه المسلمون في صدر الإسلام عندما قارنوا علياً (عليه السلام) بغيره، فقالوا كلّهم من السابقين للإسلام وبدريون وأحديون وغيرها من الصفات، ولئن تفوّق علي (عليه السلام) ببعضها فلم يجدوه فرقاً كبيرا، فضاعت الحقيقة في ضبابية هذه الرؤية، ولكنهم لو قارنوا بين فكرتين ومبدأين: أحدهما يقول إن الإمامة منصب إلهي لا يعرف مستحقه إلا العالم بالسرائر الذي يحول بين المرء وقلبه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وبين يديه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(النحل: ٦٨)، ومقتضاه أن تكون الإمامة لعلي (عليه السلام) وبنيه المنصوص عليهم. وثاني المبدأين يقول إنها بالاختيار، فهي متروكة للبشر يغلب القوي منهم الضعيف،

حتى آلت إلى من اشتهر فسقهم وكفرهم، ولا أعتقد أن أحداً يتردد في اختيار أحد الطرفين، بينما عندما كان النزاع بين شخصين لم تكن النتيجة بهذا الوضوح.

فليكن حوارنا مبنياً على أسس وموازين علمية بعيداً عن التحزيات والأهواء والولاءات الشخصية، لكن لا نفقد الرؤية الصحيحة (اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتّباعه، والباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله عليّ متشابهاً، فاتبع هواي بغير هدًى منك).

إن هذه الدعوة للمّ الشمل لا تعني المداهنة في أمر الله سبحانه، وإنما الذي أقوله هو نبذ العنف والتفسيق والتكفير والسب والشتم وتبادل التهم، والتعويض عنه بلغة الحوار والإدلاء بالحجة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾(الأنفال:٤٢)، وقد دعانا القرآن لذلك مع الكفار فضلاً عن الأخوة المؤمنين ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة:١١١) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾(هود:٢٨) ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل:١٢٥)، وإن الذي يلجأ إلى العنف هو من لا حجة له، فيصمّ أذنه عن سماع الحق، كما كان يفعل المشركون والكفار عند مواجهة الأنبياء والرسل لهم بالهدى والبينات، أما المؤمن فهو قوي بحجته وإيمانه لا يتزلزل، والقرآن الكريم حافل بالحوارات بين المؤمنين والكافرين فلنتأدب بأدبه.

ثم ماذا ينتظر الخائضون في هذه الفتن غير سقوطهم جميعاً بسبب ما يكشف بعضهم من زيف البعض الآخر، وما يلقي عليه من اتهامات وشكوك، ولك أن تتصور النتيجة عندما يسقط جميع العلماء من أعين المجتمع، فتبقى الأمة بلا قيّم عليها تسير بغير هدى؛ ففي خطبة الزهراء (عليها السلام) عندما ذكرت بعضاً من أسرار التشريع قالت (عليها السلام) ما مضمونه: فجعل

طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً للفرقة[1]، إن هذه المؤامرة خطرة وقذرة لا يشعل أوارها إلا جاهل أو مرتزق.

إن المؤمن الحقيقي إذا بلغه نقد أو توبيخ نظر؛ فإن كان الذي قيل موجوداً فيه حمد الله تعالى على هذه النصيحة والهدية الثمينة وسعى في تجاوز هذا الخطأ وعلاجه، خصوصاً إذا كان صادراً من مؤمن، وإن لم يكن فيه حمد الله على السلامة ولا يرد الصاع صاعين، كان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يغضب لنفسه ولا يتأثر لها وإنما يغضب لله وللحق، وله كلمة في ذلك: إني أسكت ما دام الظلم محدقاً بنفسي فقط ولا يتعداها إلى الحق، وموقفه من عمرو بن عبد ود في معركة الخندق في الرواية المشهورة.

إن أهم مشاكلنا عدم التمييز بين الأعداء والأصدقاء، فهذه النفس الأمارة بالسوء هي أعدى أعدائنا – كما في الحديث - وهي في داخلنا وبين جنبينا، فهل انتهينا من قهرها حتى نتفرغ لمعاداة الآخرين.

يجب أن نلتفت أن المخالفين لنا في الرأي على صنفين:

الأول: وهو مجرد مخالف لنا في الرأي، فهذا الذي ننظر إلى نقاط الالتقاء معه، ونغض النظر عن نقاط الخلاف، وما لم نعاديه فإنه لا يعادينا.

الثاني: الذي لا يكتفي بمجرد المخالفة، وإنما يتربّص بنا الدوائر، ويقف حجر عثرة في طريق الإصلاح، ومهما حاولنا ثنيه عن ذلك لا ينثني، فهذا الذي نعاديه إذا استنفدنا كل الطرق للتقارب معه.

وبهذا التصنيف نستطيع أن نفهم طائفتين من الآيات الشريفة:

الأولى: مثل قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة:٢٥٦).

والثانية: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾(البقرة:١٩٥) ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾(التوبة:١٢٢).

والتمييز بينهما من وظيفة ولي الأمر والقائد الحق للأمة وليس لأدعيائها.

---

(١) الاحتجاج: ١/١٣٤.

انتماء المنبر للحوزة:

النقطة الرابعة: جعل المنبر عموماً والمنبر الحسيني خصوصاً تحت إشراف المرجعية الدينية والحوزة الشريفة، فإنه أوسع أبواب الاتصال بالمجتمع وأشدّها تأثيراً في النفوس، لأنه يستمدّ قدسيته ومكانته من صاحب المناسبة، وقد فقدت المرجعية الدينية هذه القناة المهمة حين تخلّت عنه وتركته بيد متطفلين همّهم تحصيل الأموال واستدرار الدموع ولو بالروايات المكذوبة التي تسيء إلى أهل البيت (عليهم السلام) وعلّو منزلتهم.

وفقد المنبر هو الآخر أهميته وهيبته في المجتمع بسبب هذه النظرة له، وعدم توفر غطاء من المرجعية له، فإذا كسبت الحوزة الدينية المنبر الحسيني استطاعت تسخير هذه القناة لإسماع صوتها، وقطعت الطريق أمام المرتزقة والجهلة، وشجعت ذوي الكفاءات في هذا المجال على السير فيه باطمئنان، لأنه سيرى الضمانات التي توفرها له المرجعية الدينية بدلاً من القلق على مستقبله والحرص على تكثير المجالس لتوفير المال، مما يؤثر على جودة عطائه.

كما أن المنبر سيمتلك قوة في التأثير يستمدّها من السلطة الروحية للمرجعية الدينية، ومن القابليات العلمية التي ستتصدى له، وهذه من النقاط التي جعلت قوة التأثير لمنبر الجمعة أكثر من المنبر الحسيني.

وإن خطباء المنبر ليستطيعون أكثر من أية وسيلة أخرى شدّ الناس إلى مرجعيتهم والالتفاف حولها وطاعتها، كما يستطيعون على العكس من ذلك هزّ سمعة المرجعية والتشكيك فيها والنيل منها وتنفير الناس عنها.

وتحصل هذه الرعاية من لدن الحوزة بإنشاء درس لتعليم فن الخطابة ومقوماته ومؤهلات الخطيب وكيفية إعداد الخطبة والمحاور التي ينبغي أن يدور الحديث عنها، ثم تعقد جلسات أسبوعية يرتقي الطلبة فيها المنبر ليتعلموا ويتدربوا، ولتكون فرصة لتوجيههم، وبيان نقاط القوة والضعف فيهم، ويزوّد الخطيب الناجح بشهادة اعتراف وتأييد من قبل الحوزة العلمية، وتقدم له

الضمانات المالية كبقية طلبة الحوزة كما تقدم له الدعم المعنوي بالدعوة إلية والترويج لاسمه وتوجيه الوكلاء في مختلف المدن إلى التزامهم والتعامل معهم.

الخطابة النسائية :

النقطة الخامسة: إن إصلاح (الخطابة النسائية) - إذا صحّ التعبير - وتهذيبها مشمول بما قلناه، بل الحاجة فيه أشدّ، لأنها ما زالت متخلّفة وبعيدة عن الهدف، فتحتاج إلى نهضة قوية، وإذا كان منبر الرجال قد تقدم خطوات بتصدي الحوزة له، فإن عدم وجود حوزة للنساء يجعل المنبر النسائي متأخراً، من هنا تدعو الحاجة إلى حثّ المرأة على التوجه إلى الدراسات الدينية؛ فإن قضايا المرأة عندما تتصدى لبيانها ومعالجتها امرأة تكون أدق وأصوب وأدعى لانفتاح النساء عليها، فليبدأ أخواني الطلبة الذين منهم تكون البداية وعليهم تقع المسؤولية بتثقيف زوجاتهم وأخواتهم وبناتهم ومن يليهم من النساء حتى إذا اطمأنوا إلى قدرتهن على إيصال العلم إلى غيرهن وفّروا لهن هذه الفرصة من خلال مجالس التعزية أو حفلات الزواج وسائر الشعائر الدينية والمناسبات الاجتماعية.

إن تخلّف المرأة يعني تخلف نصف المجتمع، بل كل المجتمع؛ لأنها المدرسة الأولى التي تحتضن الطفل وترعاه وتربّيه، فإذا كانت متعلمة متدينة سهّلت المسير لأبنائها نحو الكمال.

وعلى الكتّاب والمثقفين وحملة العلم أن يولّوا هذا الجانب من هو جدير به من الاهتمام، فيضعوا المناهج المناسبة التي تأخذ بيد المرأة، وعدم الاكتفاء بما هو موجود، لأن الشعور بالمسؤولية والاندفاع نحو التطبيق تجاه الكتب المخصصة لها ولأية شريحة في المجتمع يكون أكثر بشكل ملحوظ مما لو كان الكتاب عاماً ويخاطب المجتمع، فيتعب الشخص نفسه، وهذا هو أحد المبررات المهمة التي

تدفعنا إلى إنشاء (الفقه المتخصص)، شأنه شأن سائر العلوم التي تعمقت وتوسعت بإنشاء التخصصات فيها.

مكونات مادة الخطبة:

النقطة السادسة:

إن اختيار مادة الخطبة لا ينبغي أن يكون اعتباطياً ووفق ما تشتهيه نفس الخطيب أو ما يشعر أنه يحسنه، أو يتبارى لإظهار القدرات المختلفة حتى يقال عنه أنه ماهر وأنه ناجح، أو أنه وجد ذلك في الكتاب الذي أمامه فنقله إلى الجمهور، فكل هذه أهداف تنافي الإخلاص، وهي بعيدة عن الهدف الحقيقي، وقد يسيء صاحبها أكثر مما يحسن من حيث يشعر أو لا يشعر، وقد ولّى زمان (الترف الفكري) حيث لا تمثل المجالس- في أحسن صورها - إلاّ كمّاً من المعلومات التي تغذي العقل لا الروح، ولا تترك أثراً على السلوك حتى لو دأبت على حضورها سنين طويلة، ولا تنفع إلا كثقافة عامة لا أزيد، ولولا ارتباطها بقضية الحسين (عليه السلام)، لما كان فيها أي منفعة، فلا بدّ من تحديد المحاور والخطوط العامة التي تندرج فيها الخطب بالأمور العريضة التالية:

١- ترسيخ العقائد الحقة ومحاولة الاستدلال عليها بأمور وجدانية أو برهانية مبسطة، ورد الشبهات الموجهة ضد الدين أو المذهب، و التي علقت في أذهان العامة من دون إثارة شبهات وإشكالات جديدة لا توجد إلا في بطون الكتب وعقول السفسطائيين، فقد تنقدح الشبهة في أذهان الجالسين ويصعب ردّها وإزالتها، فيتحمل الملقي مسؤوليتها (ومن كسر مؤمناً فعليه جبره).

٢- نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) وبيان حقهم وأدوارهم في حياة المسلمين، وعملهم على ترسيخ دعائم الإسلام الحقيقي، وما عانوه من مصائب وويلات في سبيل الله سبحانه، واستعراض سيرتهم خصوصاً في

مناسباتهم (عليهم السلام) وعدم الاكتفاء بالسرد التأريخي، بل لا بدّ من استخلاص العبرة واستلهام الدروس.

٣- ما ذكرناه من الاستفادة من القرآن، فيبعث الهمة لدى المجتمع وتحفيزه إلى طاعة الله سبحانه ونيل رضاه ومعالجة مشاكله وأدوائه والاهتداء بهديه، واستلهام الدروس منه في إصلاح النفس والمجتمع، ولنأخذ من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) درساً؛ فإنه طيلة مكثه في مكة وهي ثلاث عشرة سنة كرّس عمله لترسيخ العقائد وتصفية النفوس ووعظ القلوب بما ينزل عليه القرآن من مشاهد يوم القيامة وعاقبة المؤمنين والكافرين، وآيات الله تعالى في مخلوقاته وقصص الأمم السالفة لبيان سنن الله في خلقه، حتى انقادت له (صلى الله عليه وآله وسلم) القلوب والنفوس قبل الأبدان، وعلم منهم الصدق والطاعة والتضحية حينها حمّلهم التشريعات فاستسهلوا أمرها رغم ثقلها، وتستطيع أن تخرج بهذه النتيجة عن طريق المقارنة بين القرآن المكي والمدني.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنقد البناء لأي سلوك منحرف؛ فإن هذين الواجبين هما صمام أمان المجتمع المسلم، ولو التزمت الأمة بهذه الفريضة لنالت خيراً كثيراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وتركهما يعني انحدار الأمة وانهيارها، وبالمقابل فإن النتائج المترتبة عليهما لا يحققها أي عمل آخر، كما أن المفاسد والشرور المترتبة على تركهما عظيمة قلما يوجد نظيرها في ترك غيرها، والقرآن والسنة حافلان بالحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما، بل جعلا ميزة هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾(آل عمران:١١٠) عكس الأمم السابقة التي ذاقت وبال تركها ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ، تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي

الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(المائدة:٧٩-٨١) وهما – كما في الحديث- لا يقرّبان أجلاً ولا ينقصان رزقاً، ولم يخرج الحسين (عليه السلام) إلا لهما (إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، وليكن تطبيقها في ضوء أدب القرآن ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل:١٢٥)، لا بالتعنيف والزجر واللوم والتقريع، فإن المجتمع كما يضمّ بعض السلبيات، كذلك فإن فيه بعض الإيجابيات، فليكن الخطيب منصفاً في عرضهما على المجتمع ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾(الأعراف:٨٥).

٥- التأكيد على ارتباط المجتمع بالمرجعية الدينية، وأن لا يخطو خطوة ولا يفعل أمراً ولا يحلّ عقدة إلا بعد أن يعلم رأي المرجعية؛ لأن العلماء (أمناء الرسل وحفاظ الشريعة)، وهم (ورثة الأنبياء)، وهم – على تعبير الإمام الصادق (عليه السلام) – (حجّتي عليكم وأنا حجة الله، والراد عليهم كالراد علينا)، إن عامة الناس يقودها الهوى وتسوقها العاطفة وعقلها العلماء المخلصون، فإن قدمّوهم أفلحوا، وإن تخلّفوا عنهم أو أملوا عليهم إرادتهم وأرغموا علماءهم على أن يسيروا وفق أهوائهم ضلوا، فالعلماء عقل الأمة المفكر، والخطباء وطلبة العلم عيونها، والمجتمع هو اليد، واليد تنفّذ وتُدافع وتساعد، وأي اختلال في توزيع الأدوار يؤدي إلى الفشل.

٦- الوعظ وتهذيب النفوس وإرشاد القلوب وإحياؤها، ففي وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): يا بني، (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ)، وورد الحث الكثير على أن تجعل زادك الموعظة، فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها في ذكر الموت

وتلاوة القرآن، وتوجد كتب نافعة في الموعظة؛ كإرشاد القلوب للديلمي، ونهج البلاغة، فكم سيكون المجلس نافعاً لو كرسته لتتلو على الجالسين خطبة أمير المؤمنين في وصف المتقين، وتطلب منهم أن يطبق كل واحد منهم فقرات الخطبة على نفسه، ليرى كم من تلك الصفات متحققة فيه.

إن هذا الجانب من الجوانب المهمة التي خلت منها مجالس (الترف الفكري)، وقد كان السلف يهتمون بها، لذلك تجد القلوب عامرة بالإيمان، والأرواح تسمو في أفق الكمال، حتى ضاعت في المدارس الحديثة للخطابة، وصرت لا تسمع إلا آية فيها عدة بحوث، وفي كل بحث عدة أقوال، فيخرج المستمع خالي الوفاض من أية فائدة روحية يفترض أن المنبر قد أسس لها إلا من ذكر أبي عبد الله (عليه السلام) الذي هو سر النجاح والبقاء والديمومة.

٧- بيان الأحكام الشرعية والمسائل التي يكثر الابتلاء بها، وتصحيح العبادات والمعاملات التي لا توافق الشريعة، وتهذيب الواقع المعاش وفق القانون الإلهي.

٨- الاستفادة من المادة التأريخية خصوصاً تاريخ صدر الإسلام، لأنه الأساس الذي نشأت من اختلاف أحداثه الفرق والمذاهب المتعددة، فلا بدّ من دراسته وفحصه بعمق وتحقيق حتى يتبين الرشد من الغي ويعرف الحق لأهله ولإبراز الجوانب المشرقة فيه، والتحذير من اتباع الأمثلة السيئة.

الملكات النفسية والعقلية للخطيب:

النقطة السابعة: ومن مقومات شخصية الخطيب بعض الملكات النفسية والعقلية ومنها:

١- الثقافة الواسعة والاطلاع العريض على مختلف حقول المعرفة من تاريخ وأدب وعلوم عصرية وتفسير وسِيَر، إضافة إلى العلوم الحوزوية وسائر ما يتربط بمهمته، وأن تكون معلوماته دقيقة ومأخوذة من المصادر الموثوقة، ولو بأن يتعب نفسه في تحقيقها، وأن يكون مستحضراً لمعلوماته حتى لا تخونه الذاكرة.

٢- الإحساس المرهف والنظرة الصائبة لما يدور في المجتمع وتعانيه الأمة، وتشخيص مشكلاتها وتلمّس العلاج لها.

٣-الشجاعة والجرأة والحزم حتى لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى في الحق شيئاً.

٤- سعة الصدر فإنه آلة الرئاسة، ليستطيع استيعاب الناس بمختلف مستوياتهم واتجاهاتهم، وقد أُمرنا بمداراة الناس، وينبغي أن يتنازل عن أنانيته ويتمتع بنفس كبيرة فيتقبل النقد والتوجيه.

٥- الإخلاص والصدق فيما يلقيه، فإن ما يخرج من القلب يدخل إلى القلوب ويؤثر في المستمعين، وما يخرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، ولأمير المؤمنين (عليه السلام) قول في نهج البلاغة بهذا المضمون: (إني ما دعوتكم إلى طاعة إلا كنت أول من يؤديها، ولا نهيتكم عن معصية إلا وكنت أول من يجتنبها)، فعلى الخطباء أن يكونوا أمثلة تطبيق لما يقولون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(الصف:٢-٣).

٦- جودة الحفظ؛ فإن المجلس أو الخطبة التي يلقيها تتطلب تعزيز الأفكار بالشواهد من الآيات الشريفة والأحاديث والشعر النافع المؤثر.

٧-حسن الصوت وفصاحة اللسان وعذوبة البيان، ويمكن تحسينها كسائر الملكات بالممارسة المستمرة والاطلاع على النصوص الكثيرة وحفظها والتطبع بها.

٨-معرفة ما يناسب الحال وعدم تجاوزه، فلكل مقام مقال، وأن تكون له المهارة في التقلّب بين التصريح والتلميح، ويتطلب ذلك ذكاءً شديداً وفراسة صائبة وبديهية سريعة يعالج بها المواقف المفاجئة.

٩- التنزه عن متاع الدنيا الرخيص، وعلو الهمّة والرغبة بما عند الله سبحانه؛ فإن النظر إلى ما في أيدي الناس والسعي إلى تحصيل المال ينافي الإخلاص أولاً، ويضعف من تأثير الخطباء في النفوس.

١٠-إجادة طرق الرثاء وحفظ المرثيات المشهورة حتى يتفاعل الجمهور معها، وتؤثر فيه مباشرة، لذا تجد تجاوب المستمعين ضعيفاً مع ما لم تألفه أذهانهم.

١١-المحافظة على وحدة الموضوع مهما جرّته بعيداً التفريعات والاستطرادات، ويستعين على ذلك بإعداد الموضوع مسبقاً، وتثبيت رؤوس أفكاره وخطوطه العامة في ورقة صغيرة يراجعها ويستحضر بها تفاصيل مجلسه.

١٢- ضبط قواعد اللغة العربية؛ فان الإساءة في تطبيقها يؤدي إلى اشمئزاز المستمعين ونفور نفوسهم عن الاستماع، مما يضيع جهده.

١٣- تدقيق الآيات الكريمة وضبط نصوصها قبل الاستشهاد بها، فإن الخطأ فيها يعدُّ ذنباً كبيراً.

تحييد المنبر:

النقطة الثامنة: (تحييد المنبر) وعدم اتخاذه واجهة لأية جهة دينية أو اجتماعية، ابتداءً من أعلى جهة وهي المرجعية، وانتهاءً بما دونها، وجعله معبراً عن المذهب كله وموصلاً لصوت الحوزة جميعاً، فإن من شأن انحيازه إلى شخص ما أو جهة أن يحّجم دوره فيصبح مقتصراً على فئة معينة مضافاً إلى ما يحدثه من تذويب للأهداف الرئيسية العامة في مصالح شخصية خاصة، بل يؤدي إلى التشتت وجرّ الفئات الأخرى إلى معارضته والعمل على إفشاله لانه

يرى انه يصبّ في مصلحة غيره، فالنجاة من هذه السلبيات بالارتقاء بأهدافه فوق الأنانية والأهواء الشخصية والولاءات الهامشية.

عدم التعرض إلى ما يؤدي إلى القضاء على المنبر:

النقطة التاسعة: تجنيب وإبعاد -ليس المنبر فقط- وإنما الحوزة كلها عن كل ما يؤدي إلى الإضرار به أو القضاء عليه وتحجيم دوره وعدم إعطاء الذريعة والمبرر لتعطيله كالتعرض التفصيلي إلى السياسة فإن مثل هذه التصرفات تكون تهوّراً وإضراراً بلا نفع ويتحمل تبعتها من يشعل فتيلها ولا ينبغي لعاقل أن تقوده العاطفة وتسيّره الأهواء ولا يفعل إلا ما يراه حجة بينه وبين ربّه.

كيفية إعداد الخطبة:

النقطة العاشرة: إن إعداد الخطبة لا يقلّ أهمية عن كتابة أي بحث يتناول موضوعاً معيناً أو يعالج مشكلة، فلا بدّ أن تتوفر في الخطيب القدرة على الكتابة والتأليف وعرض الأفكار بشكل متكامل، ويتطلب ذلك ممارسة طويلة وجهداً مضنياً وبحثاً واسعاً.

وأول خطوة تكون بتحضير عنوان الموضوع الذي يريد أن يتناوله، ولا بدّ أن يندرج ضمن المحاور التي تقدم ذكرها، وأن يكون من الواقع المعاش، ثم يفحص عمّا يخصه في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته، ثم يجمع آراء المفسرين والكتاب والعلماء في هذا الموضوع، ويستخلص من الجميع مادة الخطبة كأي بحث يكتب، ويعزّزه بالشواهد والأحداث التأريخية والأدب العربي والقصص الهادفة، ومن خلال ذلك يتلّمس آية كريمة يجعلها عنوان بحثه ومفتتح مجلسه، وبقصيدة من الأدب الرفيع الذي يتذوقه الجمهور إن كانت المناسبة تخص ذكريات أهل البيت (عليهم السلام) أو خطبة مناسبة من

نهج البلاغة أو كلمة مأثورة، ثم يبدأ بإلقاء البحث حتى يخلص إلى مصاب أبي عبد الله (عليه السلام) بحسب ما أوتي من مقدرة وفن.

ومن الغريب ما ذكره بعضهم أن تبدأ حين إعداد الخطبة بتعيين الآية ثم تفتش عن تفسيرها والأقوال فيها إلى آخر ما قال، وكأن المقام درس تفسير حيث اتّخذ الآية غاية وهدفاً، والمفروض جعلها وسيلة لتعزيز الفكرة، إن هذا كلام مَن يسير على غير هدى وليس له وضوح في الهدف.

نصائح عامة:

١- لا ينبغي للخطيب أن يشترط الأجرة لعدة أمور:

أ. إن قصد تحصيل المال ينافي الإخلاص، ومن المؤسف أن يرتضي الإنسان هذا الثمن البخس عوضاً عن العطاء الإلهي الذي لا حدود له.

ب. إن ذلك يصغره في عين المجتمع، فلا يقبل منه، وتنعدم فائدته؛ لأنه في نظرهم أجير يعمل بأجرته، وليس داعياً إلى الله ومرشداً إلى دينه.

جـ. إن الطمع بما في أيدي الناس يصدّه عن بيان الحق ويدفعه إلى مجاملتهم والمداهنة على حساب الحق، فيعمل على إرضاءهم لا رضا الله سبحانه، وكفى بذلك خسراناً مبيناً.

وقد يحرم أخذ الأجرة إذا كان ما يؤديه واجباً، كبيان الأحكام الشرعية وتعليم الجاهل، وإذا أردنا أن نتوسع في الحكم فسنقول بالحرمة مطلقاً، لأن جميع ما يبيّنه يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما واجبان، وهذا الحكم على المستوى الأخلاقي أكيد، وإن لم يكن كذلك على المستوى الشرعي.

٢- عدم تكثير المجالس، لأنها ستؤثر سلباً على عطائه وتمنعه من تطوير الملكات والقابليات، وتبقيه في دائرة اجترار القديم، وهو نقص طبعاً، وإذا كان عذره سد احتياجاته المادية فقد تقدم بعض الحلول لهذه المشكلة، وهي

رعاية الخطباء من قبل المرجعية باعتبارهم من أفراد الحوزة الشريفة، وتوفر حظوظهم كبقية طلبة العلوم الدينية.

٣- عدم تصدّي إمام الجماعة لخطابة بأجرة في المكان الذي يؤمّ الناس فيه، لأن أخذ الأجرة يجعل يده (السفلى)، والمفروض فيه كإمام جماعة أن تكون يده (العليا).

٤- الجدّ والاجتهاد ومواصلة الدراسة والبحث سواء على مستوى الدروس الحوزوية أو العلوم المكمّلة لشخصيته، ولا يضيع وقته في أمور غير هادفة.

محمد اليعقوبي- النجف الأشرف

١٢-١٤/ ذو الحجة/١٤٢٠